

إشكال العدد في السنة النبوية

أ/ ابراهيم بن مهية

- أستاذ مساعد -

1- إستشكال الأرقام :

تمهيد : تعد السنة النبوية في الإسلام المنبع الثاني للقرآن والذي تستقى منه التعاليم الدينية , ولئن تجاوزت أجيال المسلمين الأولى إشكالية توثيق الآيات القرآنية بسبب حفظها في الصدور جنباً إلى جنب مع كتابتها في السطور في العهد النبوي , وبسبب تدوينها في مصحف واحد أشهراً قليلة بعيد انقطاع الوحي , فإن هذه الأجيال لم تجد ذلك القدر من التوثيق بالنسبة لأحاديث نبيها ﷺ لتورع نقلتها من الجيل الأول وهم الصحابة عن الكتابة إلا قليلاً منهم ولعدم توفر التواتر في مروياتهم إلا نادراً [فقد ضمّن السيوطي ت 911هـ في (الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة) أكثر من مائة حديث أدعي فيها التواتر وزاد عليها الكتاني أكثر من مائتي حديث]¹ ... واستمر التابعون في تناقلها شفاهاً إلى منتصف القرن الثاني للهجرة حيث بدأت المصنفات الحديثية تظهر كما في الموطأ , ولم ينتصف القرن 3هـ حتى كانت الموسوعات الكبرى قد دونت لنا كل ما كان يُتداول في العصر التابعي منقولاً شفاهة . وأحياناً ما تسنده الكتابة دون تأليف . نقلاً عن الرعيّل الأول المعاصر للوحي ... فتوفر لأكثر المسلمين تراث مكتوب ضخّم مثل مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة ومسانيد أحمد وبقي بن مخلد والبخاري ومعجم الطبراني ومستدرک الحاكم ... مروراً بالصحاح والسنن وغيرها من الكتب المسندة وحتى غير المسندة .

ويبقى أن نتساءل الآن في هذا الخضم من التراث الحديثي الضخم عن أعداد الصحابة الذين نسب إليهم دور في نقل السنة لمن بعدهم ؟ وعن عدد الأحاديث المنقولة عنهم ؟ كما نتساءل عن مدى إمكانية ضبط الأعداد بجعلها تدلّ على العدد الحقيقي المطابق للواقع وإبعاده . أي العدد . عن كل تضخيم باستبعاد ما يُضخ فيه من ضعيف وموضوع وموقوف ومقطوع كقول صحابي ورأي تابعي ... إلخ

1-1 الإستشكال عند القدامى:

¹ - السيوطي ، الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة (ويليه اتحاف ذوي الفضائل المشتهرة ، بما وقع في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة لعبد العزيز الغماري) ص 81 وما بعدها و 188.

ولعل محاولة كهذه أخذت ولا زالت تأخذ بألباب ألباء علماء الحديث في القديم والحديث إلا أنها تتطلب استقراء شاملا لكل خبر على حدة ومقارنته بغيره وتتبع أسانيده القديمة ولو كانت بالمئات أو أكثر لاستخراج عللها وتبيين درجاتها ، ولكننا في مقام كهذا لا يسعنا إلا الاحتكام لتصفيات المحدثين الصارمة لتتوصل بشكل إجمالي إلى وضع السنة أمام أعين الناس بحجمها الحقيقي أو المقارب للواقع على الأقل . وهذه الخواطر كانت ماثلة بين عيني كل محدث حافظ ، فهذا العلامة ابن الجوزي ت 597 هـ نجده قد تصيد خاطرة مماثلة وقيدها في كتابه (صيد الخاطر) حيث قال : [جرى بيني وبين أحد أصحاب الحديث كلام في قول الامام أحمد : "صح من الحديث عن رسول الله، سبع مائة ألف حديث " فقلت له ، انما يعني به الطرق ، فقال : لا بل المتون ، فقلت : هذا بعيد التصور ثم رأيت لأبي عبد الله الحاكم كلاما ينصر ما قال ذلك الشخص ، وهو أنه قال في كتاب (المدخل الى كتاب الاكلیل) : كيف يجوز أن يقال أن حديث رسول الله ﷺ لا يبلغ عشرة آلاف حديث ، وقد روى عنه من أصحابه أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة ثم بالمدينة حفظوا أقواله وأفعاله ، ونومه ويقظته وحركاته وغير ذلك سوى ما حفظوا من من أحكام الشريعة . واحتج بقول أحمد : صح من الحديث عن رسول الله سبع مائة ألف حديث وكسر ، وإن اسحاق بن راهويه كان يملئ سبعين ألف حديث حفظا ، وإن أبا العباس بن عقدة قال : "أحفظ لاهل البيت ثلاثة مائة ألف حديث " . قال ابن عقدة : "وظهر لابن كريب بالكوفة ثلاثمائة ألف حديث" . أ.هـ قلت : ولا يحسن أن يشار بهذا إلى المتون . وقد عجبت كيف خفي هذا على الحاكم وهو يعلم أن أجمع المسانيد الظاهرة (مسند أحمد بن حنبل) وقد طاف الدنيا مرتين حتى حصّله وهو أربعون ألف حديث ، منها عشرة آلاف مكررة . قال حنبل بن اسحاق : جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله ، وقرأ علينا المسند ، وقال لنا : " هذا كتاب جمعته من أكثر من سبع مائة ألف وخمسين ألفا ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله فارجعوا اليه ، فإن وجدتموه وإلا فليس بحجة " أفترى يخفى على متيقظ أنه أراد بكونه جمعه من سبعمائة ألف أراد الطرق ، لأن السبع مائة الألف إن كانت من كلام رسول الله فكيف أهملها ؟ فإن قيل : فقد أخرج في مسنده أشياء ضعيفة . ثم أعوذ بالله أن يكون سبع مائة ألف ما تحقق منها سوى ثلاثين ألفا . كيف ضاعت هذه الجملة ؟ ولم أهملت وقد وصلت كلها إلى زمن أحمد فانتقى منها ورمى الباقي ؟ . وأصحاب الحديث قد كتبوا كل شيء من الموضوع والكذب ، وكذلك قال أبو داود : "جمعت كتاب السنن من ستمائة ألف حديث " ولا يحسن أن يقال : إن الصحابة الذين رووها ماتوا ولم يحدثوا بها التابعين ، فان الأمر قد وصل إلى أحمد فأحصى سبع مائة ألف حديث ، وما كان الأمر ليذهب هكذا عاجلا . ومعلوم أنه لو جمع الصحيح و المحال الموضوع وكل منقول عن

الرسول ما بلغ خمسين ألفاً، فأين الباقي ؟ ولا يجوز أن يقال : تلك الأحاديث كلام التابعين ، فإن الفقهاء نقلوا مذاهب القوم ودونوها وأخذوا بها ، ولا وجه لتركها ، ففهم كل ذي لب أن الإشارة الى الطرق ، وإنما ما توهمه الحاكم فاسد ، ولو عرض هذا الاعتراض عليه ، وقيل له : فأين الباقي ؟ لم يكن له جواب ، لكن الفهم عزيز ، والله المنعم بالتوفيق ومثل هذا تغفيل قوم قالوا: إن البخاري لم يخرج كل ما صحّ عنده ، وإنما أخرج كالأنموذج ، وإلا فكان يطول . وقد ذهب إلى نحو هذا أبو بكر الاسماعيلي ، وحكى عن البخاري أنه قال : ما تركت من الصحيح أكثر ، وإنما يعني الطرق ، يدل على ماقلته أن الدارقطني هو سيد الحفاظ جمع ما يلزم البخاري ومسلم اخراجه فبلغ ما لم يذكره احاديث يسيرة ولو كان كما قالوا لأخرج مجلدات ، ثم قوله : ما يلزم البخاري ، دليل صريح على ما قلته ، لأنه من أخرج الأنموذج لايلزمه شيء ، وكذلك أخرج أبو عبد الله الحاكم كتابا جمع فيه ما يلزم البخاري إخراجا ...²

1-2 الإستشكال عند المعاصرين :

وهذا الذي كان يدور في خلد بعض الأقدمين تصدى له آخرون في عصرنا الحاضر ، وخصوصا أثناء الرد على شبهات المستشرقين ، فلزمهم الأمر إيجاد أجوبة مقنعة للمتسائلين ، كما هو حال الأستاذ الأعظمي في رسالته العلمية التي يرد فيها على كبار المستشرقين في الجامعات الانجليزية حيث قال في دراساته : " نجد كبار المحدثين كالزهري ... يكتبون الأحاديث عن مئات من الشيوخ و ... هناك على الأقل خمسين تلميذا من تلامذة الزهري كتبوا الحديث فإذا كتب كل واحد منهم بمعدل خمسمائة حديث عن الزهري فتنحول هذه الأحاديث الخمسمائة الى خمسة وعشرين ألفا في جيل واحد وإن كان لكل واحد منهم ثلاثة تلاميذ على الأقل فتنحول تلك الأحاديث في الجيل الثاني إلى خمسة وسبعين ألفا وهلم جرا . وعلى هذا المنوال كان عدد الأحاديث يزداد يوما بعد يوم ووصل ما وصل إليه من العدد ... وهذه معضلة بالنسبة لكثير من الباحثين اليوم ، يقول غيوم : يقول المؤرخون الذين ترجموا للبخاري أنه ألف كتابه مما لا يقل عن ستمائة ألف حديث وإذا طرحنا التكرار ... نجد أنه نقص هذه الأعداد الضخمة ... إلى ثلاثة آلاف حديث ، بتعبير آخر لم ينجح في إختباره أكثر من حديث واحد من كل مائتي حديث كان متداولاً في ذلك الوقت وما قاله غيوم نجده عند أحمد أمين أيضا [وأحال في هامشه على فجر الإسلام ص 211 و كذلك عند هيكل في حياة محمد ص 49] هذا عن المتشككين أما المؤمنون فيتساءلون : أين بقية الأحاديث ؟ وهل الأمة فرّطت فيها وضيعتها وأهملتها بحيث لم يبق إلا جزء يسير منها ؟ وكيف تمّ ذلك والسنة مصدر إلهي للتشريع الإسلامي الى يوم القيامة ؟ على كل هذه المشكلة تحتاج الى توضيح نقطتين

² - ابن الجوزي تـ 597هـ : صيد الخاطر ، دار الكتاب العربي ببيروت 2005 ص 177 - 179

أساسيتين : أولاً مفهوم الحديث ، ثانياً : الأعداد الضخمة ومفهومها لدى المحدثين ... مفهوم الحديث ... هو قول النبي وفعله وتقريره وعند بعض المحدثين الآخرين ... قول النبي و الصحابي و التابعي وفعلهم وتقريرهم ... إذن ليس من الضروري أن يكون المراد من هذا العدد الضخم هو أحاديث النبي فقط بل يشمل على أقاويل الصحابة والتابعين أيضاً وكثرة كثيرة . طريقة عدّ الحديث : لقد ذكر أصحاب المصطلح بأن كل إسناد يعتبر حديثاً عند المحدثين فإذا كان الحديث الواحد مروياً بعشرين إسناداً يصبح عشرين حديثاً ... "

2- أرقام حول الأسانيد ورواتها :

2-1 الأسانيد: مثال من السنة النبوية :

وبإمكاننا تبسيط محاولة الفهم هذه التي طرحها الأستاذ الأعظمي بإعطاء مثال واحد من السنة والنظر في تعداد أسانيده ، وليكن مثالنا هو هذا الحديث النبوي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم الأول فالأول ، فإذا خرج الإمام طووا الصحف ... " وذكر الحديث أن الأولين هم كمن يهدي بقرة أو كبشا حتى ذكر الدجاجة و البيضة ... وزادت بعض الروايات - دائماً عن أبي هريرة - ذكر فضل يوم الجمعة أو غسله ... فهذا الحديث مروي في كتب السنة عن الصحابي أبي هريرة وغيره .

2-1-1 الأسانيد إلى أبي هريرة: فقد رواه أصحاب الصحيحين والأربعة إلا ابن ماجه كما رواه

³البیهقي وابن حبان وعبد الرزاق كلهم من خلال 20 سنداً إلى الإمام مالك بسنده إلى أبي صالح تلميذ أبي هريرة عنه .

ثم هو يوجد في البخاري والمصنفين ومسانيد أحمد والدارمي وأبي يعلى مع البيهقي والنسائي في سننهما بأكثر من 23 سنداً إلى الإمام الزهري عن تلميذين لأبي هريرة هما الأغر وأبو سلمة عنه . وهو أيضاً في سنن البيهقي والنسائي وابن ماجه ومسندي أحمد والشافعي ومنتقى ابن الجارود وصحيح ابن خزيمة من خلال 19 سنداً إلى سفيان بن عيينة والزهري عن ابن المسيب عنه (أي أبي هريرة) كما نجده في صحيح ابن خزيمة وابن حبان ومسندي أحمد وأبي يعلى بـ 15 سنداً إلى العلاء

³ - الأعظمي (محمد مصطفى) : دراسات في الحديث النبوي المكتب الاسلامي 1992 بيروت 2 ص 595- 597

عن أبيه عن أبي هريرة ... إضافة إلى سنده لأحمد عن أبي أيوب وسنده للنسائي عن الزهري عن ابن هرمز كلاهما عن أبي هريرة دائما .

وهو أخيرا مروي في مصنف ابن أبي شيبة ومسندي أحمد والطياييسي بأربعة أسانيد إلى حماد عن علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة بمعناه .

2-1-2 - الأسانيد عن غير أبي هريرة من الصحابة :

أ/- الأسانيد إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : رواه أحمد والطياييسي في مسنديهما بإسنادين إلى الخدري .

ب/- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي في سننه بإسنادين إلى همام عن مطر عن عمرو بن شعيب حفيد ذينك الصحابييين ...

ج/- سمرة بن جندب رضي الله عنه : رواه الطبراني في الكبير بأسانيد الثلاثة إلى محمد بن بكار، كما رواه ابن ماجه في سننه بسنده إلى وكيع، وكلاهما عن سعيد بن بشير عن قتاده عن الحسن عن سمرة ...

د/- أبو أمامة رضي الله عنه : رواه الطبراني في الكبير بإسناد إلى سليم بن عامر، وبسندين إلى أبي غالب يعضده إسناد أحمد إلى أبي غالب وكلاهما عن أبي أمامة ...

ه/- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : رواه الطبراني في الكبير من طريقين إلى علقمة وأبي عبيدة عنه ، وقد عضده إسناد ابن ماجه في سننه إلى علقمة ، كما عضدته ثلاثة أسانيد أخرى إلى أبي عبيدة لعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة وابن خزيمة في التوحيد وأبي نعيم في صفة الجنة ، وكلاهما - أي علقمة وأبو عبيدة - يرويه عن ابن مسعود.

و/- ثم إن هذا الحديث مروي بمعناه عن التابعي طاووس مرسلا عند عبد الرزاق في مصنفه بإسناد واحد وهكذا يكون مجموع أسانيد هذا الحديث 90 سندا في الكتب التي التزمت الإسناد وتنتهي كلها إلى ستة من الصحابة ، وما يلاحظ أن 70 سندا منها إنما اتجهت إلى الصحابي أبي هريرة ...

2-1-3 - الإقتصار على صحيح الأسانيد :

أما إذا أردنا التفتيش عن الأسانيد المقبولة عند علماء الحديث فهذا يتطلب بحثا من نوع خاص ، إلأننا نتلمس ذلك في الكتب التي إلتزمت الصحة ، فالحديث موجود في الصحيحين معا من طريق الإمام مالك إلى أحد تلاميذ أبي هريرة وهو أبو صالح ، ويزيدنا البخاري وهو أصح الصحيحين طريقين آخرين إلى الإمام الزهري عن تلميذين آخرين لأبي هريرة هما الأغر وأبو سلمة ، أما إذا بحثنا في صحاح أخرى غير الصحيحين فلا نجد إلا ابن حبان الذي أورده من ثلاثة طرق عن هؤلاء التلامذة وغيرهم لأبي هريرة دائما كما أورده ابن خزيمة من خلال 12 طريقا إلى أبي هريرة . أما رواية هذا الحديث عبر صحابة آخرين فلا نجد لها في هذه

الصحيح الأربعة إلا عند ابن خزيمة من طريقين إلى ابن العاص وطريق واحد إلى ابن مسعود ، فيكون مجموع طرق الصحيح - ولانقول الصحيحة - 23 طريقا الى ثلاثة من الصحابة منها أربعة طرق في البخاري - وهو أصح الصحيحين - إلى ثلاثة من التابعين عن أحد الصحابة (أبو هريرة) بل إن أحد هذه الطرق (مالك بسنده إلى التابعي أبي صالح) إتفق عليه مسلم مع البخاري - وتلك أعلى درجات الصحيح فهذا هو ذا حديث واحد فقط لكنه باعتبار الأسانيد يقارب المائة وإذا إقتصرننا على الصحيح فهو أكثر من عشرين حديثا ، فلا غرو إذن أن نجد كبار المحدثين كال وغيره يصرحون بل ويؤكدون أنهم غسّطوا مئات الآلاف من الأحاديث وبعضهم يجزم أن الصحيح منها إنما هو عشرات الآلاف ، فالواجب إذن أن نعلم أنهم إنما يقصدون حتما أرقام الأسانيد ولو تكررت المتون مئات المرات فعدد الأحاديث في نظرهم بعدد الأسانيد ⁴

2-2 الرواة: لئن روى البخاري ومسلم أحاديثهما عما يقارب الـ 250 صحابيا فإن عدد

التابعين وأتباع التابعين الذين نقلوا روايات هؤلاء في الصحيحين هو 1517 من الرواة حسب الحافظ الدارقطني تـ 385 هـ في كتابه (ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم) ⁵ لكننا اذا علمنا أن عدد الصحابة الذين تُنسب إليهم رواية الأحاديث يتجاوز الألف فإن لنا أن نتساءل : كم هو عدد التابعين وأتباعهم من الثقات الذين روى عنهم ؟ هذا ما حاول ابن حبان في كتابه (الثقات) الإجابة عنه فقد أحصى الذهبي تـ 748 هـ عددا منهم يصل إلى 4397 من رواة التابعين الثقات عن الصحابة بتلخيص واستدراك من الذهبي في كتابه (معرفة التابعين من الثقات لابن حبان) ⁶. أما الرواة الضعفاء على اختلاف درجات الضعف في موازين الجرح الحديثية فعددهم يتجاوز الألفين في إحصاءات الأقدمين ، فهذا الإمام العقيلي تـ 322 هـ في (كتاب الضعفاء) ذكر لنا منهم 2105 من الرواة، ⁷ وهذا ابن عدي الحافظ الجرجاني تـ 365 هـ في كتابه المعروف بـ (الكامل) ذكر 2206 من الرواة ⁸. وقد تضاعف هذا العدد عند ابن الجوزي في (كتاب الضعفاء و المتروكين) حيث ذكر 4018 من الرواة ، ⁹ ثم تضاعف هذا العدد الأخير بدوره عند الذهبي في كتابه (المغني في الضعفاء) فقد اشتمل على

4 - د. عبد الملك بكر عبد الله قاضي : موسوعة الحديث النبوي (صلاة الجمعة) دار العاصمة الرياض 1410 هـ ط 1 ص 122- 128

5 - الذهبي معرفة التابعين من الثقات لابن حبان تح عطا الله السندي ، أضواء السلف الرياض 2002 ط 1 ص 385

6 - المصدر نفسه

7 - العقيلي كتاب الضعفاء تح حمدي السلفي دار الصميعي الرياض 1200 ط 1 ج 4 ص 1566 .

8 - ابن عدي : الكامل في ضعفاء الرجال تح سهيل زكار ويحيى غزاوي دار الفكر بيروت 1988 ط 3

9 - ابن الجوزي: كتاب الضعفاء و المتروكين دار الكتب العلمية بيروت ط 2 ج 3 ص 244

7855 من الرواة.¹⁰ وإذا رجعنا إلى الرواة المذكورة أسماؤهم في أسانيد الصحيحين والسنن الأربعة فقط - وهي الأصول المعتمدة لدى أهل السنة - فإن تراجمهم موجودة في كتب الذهبي وابن حجر التي لخصت كتاب (تهذيب الكمال) للحافظ المزني ، وهذا بدوره لخص كتاب (الكمال) الذي جمع فأوعى لكل أقوال نقاد الرواة ممن سبقه كابن أبي حاتم والعجلي والجوزجاني ... وسائر قدماء أهل الجرح والتعديل في كل رواية الأصول الستة ، فكان أن لخص لنا الذهبي ملخص المزني في كتابه (الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة) -ومعه ذيل الكاشف للعراقي 826 هـ- وقد ضم هذا الكاشف 7290 من الرواة ،¹¹ وكذلك الأمر في كتاب آخر للذهبي هو (تذهيب التهذيب) ومثله كتاب ابن حجر (تهذيب التهذيب) الذي لخصه هو بنفسه في (تقريب التهذيب) الذي نجده مشتملا على 8874 من الرواة.¹² ونعود إلى الذهبي الذي أحصى لنا أيضا 596 من الرواة سواء ذكروا في الاصول الستة أم في غيرها ممن ضَعَفُوا ولكنهم ثقات ،¹³ ثم ألّف كتابا آخر أحصى فيه كل من تُكَلِّم فيه من الثقات وغيرهم في الأصول والزوائد الا وهو كتابه القيم (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) -ومعه ذيل الميزان للعراقي - وقد احتوى هذا الميزان في جنباته 11348 من الرواة - بحذف المكرر -¹⁴ وقد قام ابن حجر بعده باستبعاد رواية الأصول الستة من الذين سبق له ذكرهم في كتابه (تقريب التهذيب) فحذفهم من الميزان وزاد عليه بعض ما فاتته من الرواة أو من أحكام النقاد وذلك في كتابه (لسان الميزان) حيث حوى 9436 من الرواة الرجال مع إضافة 115 من النساء ، وكلهم بحذف المكرر ، ومضموما إليهم 5842 من الكنى و المنسوبين و المبهمين - مع تكرار بعضهم - فيكون المجموع 15394 من الرواة ،¹⁵ ويمكن أن نضيف إليهم 237 من الرواة الضعفاء أو المتكلم فيهم حسب دراسة معاصرة بعنوان (ذيل لسان الميزان)¹⁶ ليصير العدد 15631 من رواة غير الأصول - أي من رواة الزوائد -.

وقد قام حافظ آخر معاصر لابن حجر هو الإمام البوصيري شهاب الدين ت 840 هـ بعمل مماثل في كتابه (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة) وهو يحوي 7968 من الرواة المذكورين في غير الأصول.¹⁷

¹⁰ - الذهبي: المغني في الضعفاء تح حازم القاضي دار الكتب العلمية بيروت 1997 ط 1 ج 2 ص 623

¹¹ - الذهبي الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (و معه ذيل الكاشف العراقي) دار الفكر بيروت 1997 ط 1 ج 3 ص 443

¹² - ابن حجر : تقريب التهذيب تحقيق مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت 1995 ط 2 ج 2 ص 685

¹³ - عمرو سليم : تحرير أحوال المختلف فيهم بما لا يوجب الرد وفيه دراسة نقدية لكتاب الذهبي مكتبة الضياء ط 1 2005 طنطا مصر 514

¹⁴ - الذهبي ميزان الاعتدال في نقد الرجال (ومعه ذيل الميزان للعراقي) دار الفكر ط 1 بيروت 1999 4 ص 577.

¹⁵ - ابن حجر : لسان الميزان دار الفكر بيروت 87 ط 1 ص 409 و 7 ص 544

¹⁶ - الشريف حاتم العوني : ذيل لسان الميزان دار علم الفوائد 1418 مكة ط ص 220

¹⁷ - البوصيري الحافظ الشهاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة دار الوطن الرياض 1999 ط 1 8 ص 276

ولعل الأعمال الإستقرائية المعاصرة أقرب إلى الإحاطة بالرواة لاستنادها على كل ما ذكرنا من جهود السابقين ، فبالنسبة للأصول توصل أصحاب (موسوعة رجال الكتب التسعة) إلى 14449 من الرواة ، والمقصود بالتسعة الأصول الستة مضافا إليها مسانيد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة كالموطأ وسائر المسانيد ...¹⁸

أما بالنسبة للزوائد فقد توصل الباحث اليمني العنسي محمد بن أحمد المصنعي -وهو معاصر - في كتابه (مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب) إلى 31420 من الرواة ،¹⁹ وإذا علمنا أن رواية التقريب 8874 فالعدد الإجمالي لرواة كتب السنة أصولا وزوائد هو 40294 من الرواة .

3- أرقام حول الصحابة الرواة :

1-3 تعريف الصحابي :

لقد وُجد في أهل السنة من يضيّق دائرة الصحبة فلا تكاد تنطبق إلا على السابقين من المهاجرين والأنصار وصولا إلى أهل بيعة الرضوان وفي أقصى الحالات إلى فتح مكة باعتبار الحديث أنه لاهجرة بعد الفتح ، فإن هذا القول يجد صداه ومداه بل ومستنده في رأي التابعي سعيد بن المسيب ت 93هـ حين كان لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين ...²⁰ لكن جمهور أهل السنة مجمعون على إعتبار صحابي النبي كل مسلم صحبه سنة أو شهرا أو لقيه ساعة أو لحظة ومات على الإسلام - ولو تخللته ردّة على الأرجح -²¹

وقد وضّح لنا ابن الجوزي الأمر بجلاء حين قال : " ... وفصل الخطاب في هذا الباب بأن الصحبة إذا أُطلقت فهي في المعارف تنقسم إلى قسمين : أحدهما أن يكون الصحاب معاشرًا مخالطا ... فيقال هذا صاحب فلان كما يقال خادمه لمن تكررت خدمته لا لمن خدمه يوما أو ساعة، والثاني أن يكون صاحبًا في مجالسة أو مماشاة ولو ساعة فحقيقة الصحبة موجودة في حقه وإن لم يشتهر بها ، فسعيد بن المسيب إنما عني القسم الأول ، وغيره يريد هذا القسم الثاني وعموم العلماء على خلاف قول ابن المسيب ...²²

2-3 عدد الصحابة :

¹⁸ - موسوعة رجال الكتب التسعة .
¹⁹ - العنسي محمد بن أحمد المصنعي : مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب . مكتبة صنعاء الأثرية و الفاروق الحديثة ، صنعاء 2005 ط1 مج3 ص417 مابعداها .
²⁰ - ابن الوزير ،الروض الباسم دار عالم الفوائد مكة 1419 هـ ط ج 1 ص 94 - 140
²¹ - ابن حجر ،نخبة الفكر (وشرحها نزخة النظر للمؤلف)
²² - ابن الجوزي تلقيح فهم أهل الأثر ص 71 - 72

وإذا علمنا أن عدد الجيش الإسلامي في فتح مكة هو عشرة آلاف وأن أكبر تجمع للجند كان في جيش العسرة بتبوك ضد الروم وهي آخر الغزوات حيث وصل العدد إلى ثلاثين ألفاً ، فبإمكاننا الجزم أن عدد الصحابة يقارب ضعف هذا العدد أو ذاك عند إحتساب الذين يخلفونهم ورائهم من أهل الأعذار وغيرهم وممن توفي قبل ذلك ... أما إذا نظرنا إلى أعداد المشاركين في حجة الوداع قبيل وفاة النبي فإن اسم الصحابة سينطبق على مائة ألف أو يزيدون ، ولذا نجد محدثاً متشدداً كأبي زرعة يسمع من يقول أن عدد الأحاديث أربعة آلاف فيرد عليه : " ... هذا قول الزنادقة ، ومن يحصي حديث رسول الله [لقد] قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه أو سمع منه [ف] قيل له : يا أبا زرعة هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه ؟ قال : أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما و الأعراب ومن شهد معه حجة الوداع ... " م. 23

3-3 عدد المعروفين من الصحابة :

هذا عن العدد الإجمالي في جانبه النظري ، وإن شئت قل في مجال الافتراض الواقعي ، لكننا عند إستقراء السجلات التاريخية وضبط الأسماء المدونة فإن عدد الصحابة الذين نعرف أسماءهم قد لا يتجاوز العشرة آلاف عند أكثر تقدير فهذا الاصبهاني ابو نعيم ت430هـ قد ذكر لنا في كتابه (معرفة الصحابة) 4235 صحابياً،²⁴ ويكاد معاصره ابن عبد البر ت463هـ يقترب من هذا العدد في كتابه (الإستيعاب في معرفة الأصحاب) حيث ذكر 4225 صحابياً،²⁵ لكن المؤرخ ابن الاثير ت630هـ في (أسد الغابة في معرفة الصحابة) يكاد يصل بنا إلى ضعف هذا العدد حين أتى على ذكر 7711 صحابياً...²⁶ بينما نجد أن ابن حجر في موسوعته (الاصابة) قد أحصى 12308 صحابياً ، لكنه إعترف في البداية بأنه قد جعل الصحابة أربعة أقسام : الأول منها من ثبتت صحبتهم نقلاً ، ولقد وجدت أن عددهم 8934 صحابياً دون حذف المكرر ، أما الأقسام الأخرى فهم من ولدوا في عهد النبوة أو كانوا مخضرمين بين الجاهلية والاسلام دون ثبوت للرؤيا أو من توهم اللاحقون صحبتهم وهم ليسوا كذلك ...²⁷ وعليه فإنه بإمكاننا الإطمئنان الى العد الذي إستقر عليه مؤلف معاصر في (موسوعة حياة الصحابة) حيث ضبط لنا أسماء 8837 صحابياً .²⁸

23 - المصدر نفسه

24 - الأصبهاني ابونعيم معرفة الصحابة تح عادل العزازي دار الوطن الرياض 1998 ط 1

25 - ابن عبد البر الإستيعاب في معرفة الأصحاب تح علي البحوي دار الجيل بيروت 1992

26 - ابن الاثير عز الدين الجزري أسد الغابة في معرفة الصحابة تح خيرى سعيد المكتبة التوفيقية القاهرة 2003

27 - ابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة دار الكتب العلمية بيروت 1995 ط 1

28 - محمد سعيد مبيض موسوعة حياة الصحابة مؤسسة الريان بيروت ودار الفتح الدوحة 2000 ط 1

4-3 عدد الصحابة الرواة

ويبقى لنا الآن أن نتساءل عن عدد الرواة من الصحابة ، إذ ليس بالضرورة أن ينقل كل من صحب النبي أحاديثه لأجيال التابعين ، وعليه فإننا وجدنا أن من تُسبت إليهم الرواية الحديثية يتجاوزون الألف بقليل (بالعشرات) أو كثير (بالمئات) فهذا المحدث ابن حبان ت 354 هـ في كتابه (تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الاخبار) عدّد لنا منهم 1608 صحابيا .²⁹

وجاء بعده الفقيه الموسوعي ابن حزم ت 456 هـ في كتابه (أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد) فأحصى منهم 1018 صحابيا،³⁰ ويكاد المحدث ابن الجوزي ت 597 هـ في (تلقيح فهوم أهل الاثر) أن يكرر إحصاء ابن حزم إذ لم يزد عليه سوى عشرين اسما ليصل العدد الى 1040 راو من الصحابة (أنظر باب عدد الأحاديث المروية عن رسول الله حيث ذكر أسماء الصحابة الرواة بحسب عدد ما نسب إليهم من أحاديث)³¹ فإذا جمعنا أعداد الأحاديث المنسوبة إلى الصحابة بغض النظر عن مدى صحتها أو تكرارها فإنه يصل إلى 31118 حديثا سواء في إحصائيات ابن حزم أو ابن الجوزي ، وما ذاك إلا لاعتماد كليهما على مسند بقي بن مخلد المعتمد أصلا على مسند أحمد ...

4- أرقام حول متون الأحاديث في الكتب الجامعة:

1-4 في الكتب الجامعة للآثار النبوية وغيرها :

ولو تركنا اعتبار الأسانيد ونظرنا إلى تأثير اعتبار تنوع المتون لوجدنا أن المحدثين يُدخلون مع الأحاديث النبوية آثار الصحابة سواء مروياتهم الموقوفة أو آراؤهم الفقهية والتفسيرية ... بل وحتى آثار التابعين من حيث أنها بيان للدين وتوضيح للشريعة وتكميل لشروحاتها ... وعلى هذا الأساس سيتضخم عدد المرويات ففي موسوعة الامام علي وحده على سبيل المثال و التي أحصت من الكتب المسندة رواياته المرفوعة و الموقوفة و الضعيفة وآرائه ... فنجدها قد اشتملت على 17482 رواية ،³² علما أن الإستقراء في هذه الموسوعة قد انحصر في التراث السني ، فكم سيكون حجم الروايات لو أدخلنا في الاعتبار التراث الشيعي؟ ولعل أقدم ما أُلّف في جمع الآثار سواء النبوية أو غيرها هو كتاب (المصنف) للإمام الصنعاني عبد الرزاق ت 211 هـ حيث اشتمل على 21033 رواية،³³ ومثله كذلك الحافظ ابن أبي شيبة ت 235 هـ الذي

²⁹ - ابن حبان البستي تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار تح بوران الضناوي دار الكتب العلمية بيروت 1988 ط 1

³⁰ - ابن حزم الأندلسي أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد تح سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية بيروت

³² - يوسف أوزبك : موسوعة الامام علي دار المأمون دمشق 1995 ط 1

³³ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني المصنف تح : الساعدي دار إحياء التراث العربي بيروت 2002 ط 1

جمع في مصنفه 19789 رواية.³⁴ فلا غرو أن تضمنت موسوعة الإمام أحمد بن حنبل 241 هـ وهي (المسند) على 27519 رواية،³⁵ أما معاصره الدارمي ت 255 هـ في كتابه (السنن) فلم يورد سوى 3503 رواية³⁶ بينما أوصلها الإمام البزار ت 292 هـ في (المسند) إلى 9018 رواية (مع ملاحظة عدم اكتمال النسخة)³⁷ لكن ابن حجر اختزل لنا هذا الرقم إلى 2341 رواية في كتابه (مختصر زوائد مسند البزار) حيث ركّز على ما أضافه البزار على كل من الصحيحين ومسند أحمد والسنن الأربعة...³⁸ بينما وصل الرقم عند الإمام النسائي ت 303 هـ في موسوعته (السنن الكبرى) إلى 11949 رواية.³⁹ وإذا كان أبو يعلى ت 307 هـ قد ذكر في مسنده 7517 رواية،⁴⁰ فإننا نجد المحدث الموسوعي الإمام الطبراني ت 360 هـ في (المعجم الكبير) قد أورد 22796 رواية،⁴¹ أما المعجمان الآخران للطبراني فقد استلّ منهما المحدث الهيثمي ما انفرد به الطبراني على الصحاح فوجدها 5139 رواية في كتابه مجمع البحرين في زوائد المعجمين الأوسط والصغير...⁴² ويبقى أن نعرف أن الإمام البيهقي ت 458 هـ قد جمع في (السنن الكبرى) 22440 رواية،⁴³ وذلك قبل انقراض عصر الرواية (أي أن ذلك كله كان أثناء عملية جمع الأحاديث المسندة و ملاحقة الأخبار المتداولة شفاها بغية تدوينها في مؤلفات معتمدة للأجيال اللاحقة)

4-2 في الكتب الجامعة للأحاديث النبوية فقط :

وإذا تركنا الكتب الموسوعية جانباً وركّزنا على ما اعتمده علماء الحديث من كتب قديمة دون فيها أصحابها الأحاديث النبوية المقبولة أو ما اختلف في إسنادها أو في علاقة متونها بكلام النبوة فإننا نجد على رأس القائمة الصحيحان والسنن الأربع وتسمى (الأصول) وما زاد عليها في المؤلفات الأخرى فيسمى عندهم (الزوائد) .

فهذا صحيح البخاري ت 256 هـ اشتمل على أكثر من سبعة آلاف حديث ، كما نجد أن صحيح مسلم ت 261 هـ قد اشتمل بدوره على عدد مماثل تقريباً، وكل منهما إنما اشتمل في الواقع على ما يقارب الـ 3000 حديثاً بحذف المكرر ، أما سنن أبي داود ت 275 هـ فقد احتوى على 1608 حديثاً ، بينما تضمّن جامع الترمذي ت 279 هـ ما يقارب الـ 4000 حديثاً وبالضبط 3959 حديثاً ، وقد جاء بعدهم

34 - الحافظ ابن أبي شيبة المصنف في الأحاديث والآثار . الدار السلفية بومباي الهند 1983 ط 1 مج 15 ص 332

35 - أحمد بن حنبل المسند إشراف حمزة أحمد الزين دار الحديث القاهرة 1995 ط 1

36 - الدارمي : السنن ، ضبطه سيد براهيم وآخر دار الحديث القاهرة 2000 ط 1

37 - البزار : المسند المسمى البحر الزخار مكتبة العلوم والحكم المدينة 2006 ط 1

38 - ابن حجر : مختصر زوائد مسند البزار أبو ذر صبري عبد الخالق مؤسسة الكتاب الثقافية 1993 ط 3 ج 2 ص 524

39 - النسائي السنن الكبرى تح : حسن شلبي و الارناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت 2001 ط 1

40 - أبو يعلى الموصلي ، المسند تح مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت 1998 ط 1

41 - الطبراني المعجم الكبير ضبط و تخريج أبي محمد الاسيوطي دار الكتب العلمية بيروت 2007 ط 1 ج 10 ص 495

42 - الهيثمي : مجمع البحرين في زوائد المعجمين الاوسط و الصغير تح عبد القدوس نذير مكتبة الرشد الرياض 1995 ط 2 ج 8 ص 297

43 - البيهقي : السنن الكبرى دار الفكر بيروت (ترتيب الفهارس 1999 ط 1)

النسائي ت 303 هـ المذكور آنفاً والمشهور بسننه الكبرى ليختصرها لنا في سنن النسائي الصغرى و المعروفة بـ (المجتبى) فانتهى لنا فيه 5761 حديثاً ... وعموماً فإن علماء الإسلام يعتمدون بكثرة على هذه الأصول الخمسة كما هو حال كتاب (التاج الجامع للأصول) وصاحبه أزهري معاصر ، لكن العلماء القدامى لم يروا بأساً بأن يضموا إلى سنن ابن ماجة ت 273 هـ والذي اشتمل هو أيضاً على 4341 حديثاً ...⁴⁴

ولا ينبغي لقائل أن يقول أن مجموع أحاديث الصحيحين والسنن ستتجاوز الثلاثين ألفاً بل الواقع أن المكرر داخل الكتاب الواحد منها هو كثير ، وأن المكرر فيما بينها أكثر وأكثر ، إلى درجة أن الإمام البغوي ت 516 هـ جمعها في (مصابيح السنة) فوجدها تصل إلى 4931 حديثاً⁴⁵ بينما أوصلها الخطيب التبريزي ت 737 هـ في (مشكاة المصابيح) إلى 6294 حديثاً⁴⁶ وصاحب كتاب (التاج الجامع للأصول) وهو من علماء الأزهر المعاصرين صرح بأنه قد جمع فيه 5887 حديثاً .⁴⁷ ونجدها عند ابن الأثير ت 606 هـ في (جامع الأصول في أحاديث الرسول) قد وصلت 9523 رواية ،⁴⁸ لكن الحافظ المزي ت 742 هـ جمع المتون من تلك الأصول ولكن بحسب أسانيدھا في كتابه (تحفة الأشراف) فإذا هي تصل إلى 19626 حديث ،⁴⁹ ولما حاول الإمام النابلسي ت 1143 هـ إختزال كتاب التحفة في كتابه (ذخائر الموارث) نزل بالعدد إلى 12302 حديث .⁵⁰

أما كتب الزوائد – التي أضافت كثيراً من المتون عما في الأصول – فأهمها المسانيد كأحمد والمعاجم كالطبراني و المستدركات كالحاكم و السنن الأخرى كأبي يعلى والبخاري والدارمي ... فهذه كلها قد جمعها الإمام المحدث نور الدين أبو بكر الهيتمي ت 807 هـ في موسوعته (مجمع الزوائد) فإذا هو مشتمل على 18776 رواية ،⁵¹ ثم لما ضمَّ الإمام الفاسي ت 1094 هـ هذه الموسوعة إلى موسوعة ابن الأثير مستغنياً عن بعض المتون التي رأى أنها موضوعة أو شديدة النكارة في كتابه (جمع الفوائد من جامع الأصول وجمع الزوائد) وهو يحتوي على 10133 حديث ،⁵² وقبل ذلك كان السيوطي ت 911 هـ قد سعى لجمع كل ما روي من حديث في كتابيه الجامع الكبير والجامع الصغير ثم ضمهما بين دفتي كتاب واحد وسماه (جمع الجوامع) وجاء من بعده (المناوي) ليضم إليه زيادات حتى يكون الكتاب مشتملاً كل المرويات فصار

44 - الكتب الستة الصحيحين و السنن الأربعة ، موسوعة الحديث الشريف دار السلام الرياض 2000 ط3

45 - البغوي مصابيح السنة تح د . المرعشلي و آخران دار المعرفة بيروت 1987 ط1 .

46 - التبريزي الخطيب مشكاة المصابيح مكتبة التوبة الرياض دار ابن حزم بيروت 2003 ط1

47 - منصور علي ناصف : التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول دار الجيل بيروت ج 5 ص 440

48 - ابن الأثير المبارك الجزري جامع الأصول في أحاديث الرسول . تح : عبد القادر الأرناؤوط دار الفكر بيروت .

49 - الحافظ المزي تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف : تح عبد الصمد شرف الدين ، دار القيمة بومباي الهند و المكتب الاسلامي بيروت 1983 ط2

50 - النابلسي عبد الغني ذخائر الموارث دار المعرفة بيروت ، مج 2 ج 4

51 - الهيتمي مجمع الزوائد ، ج 10 ص 782 تح عبد الله الدرويش دار الفكر بيروت 1994

52 - الفاسي محمد بن محمد بن سليمان الروداني جمع الفوائد من جامع الأصول و مجمع الزوائد مطابع الرشيد المدينة المنورة 1407 هـ

عددتها 29025 رواية من نوع الاقوال النبوية ،وزاد المناوي مستدركا 5195 حديثا وأضاف السيوطي بعد ذلك 15303 رواية من نوع الافعال النبوية لسبعمئة صحابي، وما يقارب ألف رواية لثلاثين من التابعين، مع أن السيوطي أضاف 1257 رواية موضوعة أي شديدة الضعف ولا داعي لاحتسابها ، وبالتالي يكون المجموع العام لروايات جامع السيوطي 54363 حديثا نبويا،⁵³ فليس عجيبا بعد ذلك أن يأتي المحدث الموسوعي المعروف بالمتقي الهندي 975 هـ ليجمع لنا في موسوعته (كنز العمال في سنن الاقوال والافعال) 46624 رواية.⁵⁴

3-4 في الكتب الجامعة للأحاديث الصحيحة فقط : 1-3-4 في الصحيحين :

بالعودة إلى الأحاديث الصحيحة من هذا التراث الحديثي كله ومن هذه المجامع الكبرى فإن أول كتاب ألفه صاحبه يبتغي فيه الإقتصار على ما صح عنده هو الموطأ الذي يعتبر من أقدم الكتب الحديثية وأصحها ، فإذا تصفحنا ما دونه الإمام مالك ت 179 هـ الموطأ برواياته الثمانية والذي إحتوى 2081 رواية،⁵⁵ ولكن المحدثين بعد ذلك أخذوا عليه بعض البلاغات و المراسيل إلى جانب أربعة أحاديث لاتكاد تثبت عندهم ، إلا أن تصريح تلميذه الشافعي بأن الموطأ هو أصح الكتب لاتعني تقديمه على الصحيحين ، لالشيء إلا لأن الشافعي توفي قبل البخاري ومسلم ، ولذا يبقى تلقي الأمة لكتايبهما بالقبول يحظى بالإجماع شبه التام .

فأما صحيح البخاري ت 256 هـ اشتمل على 7563 حديثا (وعند اختزال العدد فإنه يصل إلى 2229 حديثا صحيحا كما عند الزبيدي ت 893 هـ في مختصر صحيح البخاري)⁵⁶ وأما صحيح مسلم ت 261 هـ فهو قريب من ذاك العدد (وعند اختزال العدد فإنه يصل إلى 2179 حديثا كما عند المنذري مختصر صحيح مسلم)⁵⁷ وعموما فإن مجموع ما فيهما من أحاديث يتجاوز الثلاثة آلاف حديث عند حذف المكرر فهذا الإمام الحميدي ت 488 هـ قد توصل في (الجمع بين الصحيحين) إلى 3574 حديثا⁵⁸ بينما أوصلها الحافظ الاشبيلي ت 582 هـ في (الجمع بين الصحيحين) إلى 4066 رواية صحيحة،⁵⁹ وسبب الفرق بينهما هو إحتساب المعلق أو تداخل بعض الروايات ، ولذا فإن مؤلفين

⁵³ السيوطي جمع الجوامع (أي الجامع الكبير و الجامع الصغير و زوائده) دار الكتب العلمية بيروت 2000 ط1

⁵⁴ المتقي الهندي كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال مؤسسة الرسالة 1989 مج 16 ص 746

⁵⁵ مالك بن انس الموطأ برواياته الثمانية تح : سليم الهلالي مجموعة الفرقان دبي 2003

⁵⁶ - الزبيدي مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح دار ابن حزم بيروت 2003 ط1 ص 489

⁵⁷ المنذري : مختصر صحيح مسلم تح الالباني مكتبة المعارف الرياض 1996 ط3 ص 575

⁵⁸ الحميدي الجمع بين الصحيحين دار ابن حزم بيروت ط2 مج 2 ج 4 ص 320 .

⁵⁹ الاشبيلي الحافظ عبد الحق الجمع بين الصحيحين تح طه بوسريخ دار الغرب الاسلامي بيروت 2003 ط1 ج 4 ص 395

معاصرين توصلا إلى أرقام متوسطة بينهما فالنبهاني ت 1351هـ = 1932م استخرج من جامع السيوطي وزياداته كل ما في الصحيحين فكان العدد 3018 حديثاً⁶⁰ بينما أوصله صالح الشامي المعاصر في كتابه (الجامع بين الصحيحين) إلى 3896 حديثاً⁶¹ وكلها روايات صحيحة لم ينتقد منها عند المتشددین من المحدثين سوى 396 حديثاً ولكن أغلبها له أصول ثابتة ماعدا 87 حديثاً⁶². وإذا كان ما اتفق عليه البخاري ومسلم هو أعلى درجات الصحة فإن عدد الأحاديث المتفق عليها عندهما هو 1906 حديثاً كما في (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) مع ملاحظة ان الحديث قد يتكرر معناه أحيانا لفظه بين صحابي و آخر ومثاله الحديث الاول " من كذب علي متعمدا ... " وهو متواتر فإنه أعتبر أربعة أحاديث مما يجعلنا نرجح أن عدد المتفق عليه هو أقل من هذا الرقم بكثير ، ويكفي أن صاحب (اللؤلؤ والمرجان) قد صرح في مقدمته أن من سبقه في جمع المتفق عليه وهو شيخه الشنقيطي في (زاد المسلم) قد وصل إلى 1368 حديثاً⁶³.

4-3-2 في غير الصحيحين :

وبما أن البخاري ومسلم قد صرحا بأنهما لم يقصدا استيعاب كل الصحيح فإن هناك ممن جاء بعدهما من حاول كتابة التأليف في الصحيح وفق شروط خاصة به وإن نازعه العلماء في بعضها أو بعض الأحاديث المطبقة عليها، مثل الإمام المحدث ابن خزيمة ت 311هـ في صحيحه الذي اشتمل على 3079 حديثاً⁶⁴ وبعضها قد ورد إسناداه أو متنه في الصحيحين ، وكذلك فعل ابن حبان ت 354هـ في صحيحه المسمى (التقاسيم و الأنواع) و المشتمل على 7503 رواية⁶⁵، ولما كانت بعض الأسانيد أو المتن قد وردت أيضا في الصحيحين فإن المحدث الهيثمي قد أفرد لنا زوائد ابن حبان على الصحيحين فإذا هي 2647 رواية⁶⁶، هذا وقد قام بعدهما الإمام الحاكم ت 405هـ فاستدرك على الصحيحين آلاف الأحاديث التي رأى أن شروط البخاري ومسلم قد توفرت فيها ولكنهما لم يخرجها ، فكان كتابه (المستدرك) قد أعطانا 8983 رواية⁶⁷، إلا أن الإمام الذهبي تعقبه في إستدراكاته على المستدرك لينزل به إلى ثلث

⁶⁰ -النبهاني : قرة العين من منتخب الصحيحين (الطبعة المرقمة)

⁶¹ - صالح الشامي :الجامع بين الصحيحين دار القلم دمشق و الدار الشامية بيروت 1995 ط 1 ج 1ص 58

⁶² - مصطفى باجو: الاحاديث المنتقاة في الصحيحين ، دار الضياء القاهرة 2005 ط 1 ج 1ص 58

⁶³ - محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان دار الحديث القاهرة ط 1ص 685 2005 ج 2ص 372

⁶⁴ -ابن خزيمة : صحيح ابن خزيمة ، تح الأعظمي

⁶⁵ -ابن حبان الامير علاء بن بلبان الفارسي الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج 6ص 458 دار الفكر بيروت 1996 ط 1

⁶⁶ -الهيثمي موارد الضمان الى زوائد ابن حبان (اي علي الصحيحين) تح شعيب الارنؤوط وآخر مؤسسة الرسالة بيروت 1993 ط 1 ج 2ص 1199

⁶⁷ -الحاكم ابو عبد الله محمد النيسابوري المستدرك على الصحيحين دار الفكر بيروت 2001 ط 1 ج 5ص 2522

حجمه ثم قام ابن الملقن ت 804 هـ في كتابه (مختصر استدراك الذهبي على مستدرک الحاكم) فاختزلها إلى 1282 رواية .⁶⁸

ومن جهود المعاصرين نجد المحدث الالباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة قد جمع لنا فيها 3704 حديثا ،⁶⁹ وقد صرح أن بعضها توفرت فيه شروط الصحيحين أو أحدهما وعددها 483 حديثا ،⁷⁰ ولما أتى الالباني إلى الجامع الصغير وزياداته وجد فيه 8202 حديثا أما الضعيف من الجامع 6452 حديثا ،⁷¹ وكان الحافظ المقدسي ت 507 هـ قد جمع لنا في كتابه (الذخيرة في الاحاديث الضعيفة والموضوعة) 6597 حديثا من نوع الأحاديث الموضوعة أو شديدة النكارة أو المتفق على ضعفها ، إضافة إلى مستدرکه (للمحقق + 836 حديثا فيكون المجموع 7433 حديثا)⁷² وإذا مررنا على جهود العلماء من لدن ابن الجوزي إلى الشوكاني في كتبهم المخصصة لتعداد الأحاديث المكذوبة وفضحها فإننا في الأخير نصل إلى موسوعة الاحاديث والاثار الضعيفة والموضوعة والتي جمعت في طياتها 31577 رواية .⁷³

وإذا كان لابد من الإستقرار على رقم محدد دالّ على الصحيح خارج الصحيحين فقد سهل لنا المحدث المعاصر الوادعي في كتابه (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) أمر التصحيح إذ ضمّ بين دفتيه 1679 حديثا⁷⁴ موزعة على مسانيد عدد كبير من الصحابة ، وأكثرهم مروي له في الصحيحين وإن كان عدد الذين صح عنهم الحديث في غير الصحيحين يتجاوز المائة صحابي ليكون مجموع الصحابة الذين صحت عنهم الرواية 360 صحابي من مجموع الألف الذين نسبت لهم الرواية عن النبي ﷺ .

خاتمة

وفي الأخير نصل إلى القول بأن قرن الصحابة هم الذين شرفتهم العناية الإلهية بمعاصرة فترة ختم النبوة وذلك أولا لتشريفهم بملاقة شخص خاتم الأنبياء محمد ﷺ وثانيا لإيمانهم بشريعته وثالثا بتحملهم لأمانة تبليغها للعالمين ورابعا بوفائهم على ذلك .

وقد تبين لنا من مجموع من يفترض فيهم ملاقاته ﷺ أنهم في الإجمال مائة ألف أو يزيدون وأن ذاكرة التاريخ لم تدون لنا إلا أسماء تسعة آلاف من هؤلاء ، مع ملاحظة أن بعضهم توفي أو استشهد في

⁶⁸ -ابن الملقن مختصر استدراك الذهبي على مستدرک الحاكم دار العاصمة الرياض 1411 ط1تح سعد ال حميد ج7ص3575

⁶⁹ -الالباني: صحيح الاحاديث الصحيحة(ترتيب مشهور آل سلمان) مكتبة المعارف الرياض 2004 ط1ص686

⁷⁰ -عصام موسى هادي:مجمع البحرين فيما صححه الالباني من الاحاديث على شرط الشيخين.المكتبة الإسلامية عمان الاردن 1421 هـ ط1ص124

⁷¹ - الالباني:صحيح الجامع الصغير وزيادة المكتب الاسلامي بيروت 1988 ط3مج2ص1363

⁷² -المقدسي محمد بن الطاهر الذخيرة في الاحاديث الضعيفة والموضوعة تح د.الفريوائي دار السلف الرياض 1996 ط1ج5ص2813 وما بعدها

⁷³ -علي حسن الحلبي واخرين:موسوعة الاحاديث و الاثار الضعيفة والموضوعة.مكتبة المعارف الرياض 1999 ط1

⁷⁴ -الوادعي مقبل بن هادي:الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين دار ابن حزم بيروت،ومكتبةدار القدس صنعاء 1995 ط2مج2ص534

عصر النبوة أي قبل سنة 11 هـ لكن عدد الصحابة الذين نسبت إليهم رواية الحديث ولو خبرا واحدا يتعلق بأحاديث النبوة أو أحداثها إنما يتجاوزون الألف بقليل (بضع عشرات) أو كثير (بضع مئات) فقد نسبت إليهم أكثر من ثلاثين ألف حديث (كما في المسند) وربما أكثر من أربعين ألفا (كما في الكنز) بل قد تتجاوز الخمسين ألفا (كما في جوامع السيوطي) ...

هذا، وعند استخدامنا لمنهج المحدثين الصارم وبالتركيز على الصحيحين (البخاري ومسلم) اللذين تلقتهما الأمة بالقبول وكذا بالأحاديث التي تقترب منهما في الصحة مما أحقه بهما علماء هذا الشأن نجد أن عدد الأحاديث الصحيحة فيهما أكثر من ثلاثة آلاف بقليل أو كثير، وعدد الصحيح في غيرهما يقارب الألفي حديث، فيتحصل من المجموع أن عدد الصحيح خمسة آلاف حديث تقريبا وهي لم ترد سوى عن ثلث ذلك العدد من الصحابة الرواة وبالضبط 360 صحابيا .

ثم إننا لو أخذنا حديثا واحدا كحديث أجر التبركيز إلى صلاة الجمعة - على سبيل المثال - فإننا سنجد عدد الرواة يتضاعف مع كل حلقة من حلقات الإسناد بما يشبه المتتاليات الهندسية، فهو مروي من خلال 90 سندا في الكتب الحديثية - الملتزمة بالإسناد طبعاً - تنتهي كله إلى 6 من الصحابة، بل إن 70 منها انتهت إلى الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه، ثم إن الكتب التي التزمت الصحة أوردته من أكثر من 20 طريقا إلى 3 من الصحابة بل إن منها 4 طرق لدى البخاري إلى 3 من التابعين عن أبي هريرة، وأحدها متفق عليه مع مسلم (مالك عن سهيل عن أبيه عنه)

فلا غرو أن تروى عشرات الآلاف من متون الأحاديث بمئات الآلاف من الأسانيد تتكرر فيها أسماء أربعين ألفا من الرواة من مختلف الطبقات (في الزمان) و الدرجات (في الجرح والتعديل) عن ألف من الصحابة ولكن لم يصح منها سوى ما ذكرنا آنفا.